منهج المدرسة العقلانية الحديثة

في دراسة الأحاديث المشكلة

كتبه

أ. د. سعيد بن صالح الرقيب

الأستاذ بقسم السنة وعلومها - كلية الشريعة وأصول الدين

جامعة الملك خالد



في دراسة الأحاديث المشكلة

كتبه

أ. د. سعيد بن صالح الرقيب

الأستاذ بقسم السنة وعلومها - كلية الشريعة وأصول الدين

جامعة الملك خالد.

بحث علمي محكم ومنشور

ضمن كتاب المؤتمر السنة النبوية الدولي (مسند)

بجامعة ملايا – ماليزيا

خلال الفترة ١٢-١٣/ ٧/ ٢٠١١م

بِسْــــــــمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيــــــــمِ

المقدمة

الحمد لله الهادي إلى صراطه المستقيم، والصلاة والسلام على نبيه محمداً الذي بعثه ربه رحمة للعالمين، ومعلماً للأميين بلسان عربي مبين.

أما بعد:

فإن الله قد اختار محمداً رسولاً ونبياً وأميناً على وحيه، ومعلماً مبيناً لما جاء عنه سُبْحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ، وقد أوجب الله طاعته فيما أمر، والانتهاء عما نهى عنه وزجر، وأن لا يعبد الله إلا بما أمر، وكان من محصلة ذلك أن العالم بالسنة والمحب لها يكون من كل خوف في جُنة، وسالكٌ على منهاج الحق إلى الجنة، ولكي يتحقق لهم ذلك فقد أثار سبحانه أشواق المحبين لنبيه ﷺ إلى التصديق بما جاء به وحثهم للاقتداء به ومتابعة سنته والذب عنها.

ولما كانت السنة النبوية بهذه المنزلة الرفيعة فقد وجب على محبيها أن يسعوا في خدمتها بتقريبها إلى الناس، وتحبيب الناس فيها، ودعوتهم إليها، وان يذبوا عنها انتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين، وتحريف الغالين.

ومما يخدم السنة النبوية في هذا العصر، ومما سرني هو قيام هذا المؤتمر الدولي عن السنة النبوية، تحت عنوان: " السنة النبوية وقضاياها المعاصرة "، والذي يقيمه مشكوراً قسم القرآن والحديث في أكاديمية

الدراسات الإسلامية بجامعة الملايا، بمدينة كوالالمبور، بدولة ماليزيا، وأسأل الله أن يثيب القائمين عليه وأن يوفقهم إلى كل خير.

عنوان البحث:

ولما كان المحور الثاني من محاور المؤتمر عن: الاتجاهات المعاصرة في السنة النبوية، أحببت المشاركة تحت هذا المحور بهذا البحث بعنوان: " **منهج المدرسة العقلانية الحديثة في دراسة الأحاديث المشكلة** ".

فحيث أن باب مشكل الحديث من الأبواب التي ولج فيها بعض من لم يحسن التعامل مع السنة النبوية، فبعضهم دخل بحسن نية وقصد، وهذا لا يكفي ولا يعفي من الوقوع في الخطأ لا تأثيماً له ولكن تجريماً لفعله حيث دخل فيما لا يحسن بمثله ممن قلّت بضاعته أن يلج فيه.

وكثيرٌ ممن دخل في الكلام في مشكل الحديث دخل بفساد نية وسوء طوية، واختاروا سبيل الضلالة فأرادوا هدم الدين بالدين، وذلك بضرب نصوص الحديث بعضها ببعض، ليتوصلوا بذلك إلى ردها بالكلية وصرف الناس عنها بدعوى التناقض بين نصوصه، وممن يتحمل وزر هذا ويرفع رايته في هذا العصر ما يسمى بالمدرسة العقلانية، وقد دفعني للكتابة في هذا الموضوع ما يلي:

- الذب عن السنة النبوية الشريفة.
- بيان شيءٍ ما تتعرض له السنة النبوية في هذا العصر من تحديات.
- تعرية منهج المدرسة العقلانية الحديثة تجاه السنة عموماً، ومشكل الحديث خصوصاً.
- التحذير من سلوك سبيل المعارضين للسنة النبوية.

خطة البحث:

ويتمثل منهج المدرسة العقلانية الحديثة في دراسة الأحاديث المشكلة من خلال الشبهات التي انطلقت منها هذه المدرسة ثم من خلال أسلوب التعامل معها والنظر فيها ودراستها، لذلك جاءت خطة البحث كما يلي:

تمهيد: وفيه مطلبان:

المطلب الأول: تعريف الحديث المشكل.

المطلب الثاني: تعريف بالمدرسة العقلانية الحديثة وعلاقتها بالمدرسة العقلانية القديمة.

المبحث الأول: شبهات المدرسة العقلانية الحديثة حول الحديث الشريف.

المبحث الثاني: منهج المدرسة العقلانية الحديثة في دراسة الأحاديث المشكلة.

الخاتمة:

المراجع:

الفهرس.

منهج البحث:

ومنهجي في كتابة البحث كما يلي:

- توثيق الآيات القرآنية.

- تخريج الأحاديث الواردة تخريجًا مختصراً.

- وضعت عناوين مناسبة لكل فقرة من البحث.

- وضعت تحت كل فقرة ما يوفقها من نصوص.

- نقل النصوص مباشرة أبو بواسطة، ووضعها بين حاصرتين " ".

-لم أتعمد الرد على ما ورد من شبهات وضلالات، وحسبي في ذلك بأن البحث سيكون بين يدي محبي السنة النبوية العالمين بها، والعاملين في خدمتها.

وأسأل الله بمنه وكرمه أن يجعله خالصًا لوجهه الكريم، وأن ينفع به كاتبه وقارئه.

تمهيد

المطلب الأول: تعريف الحديث المشكل.

تعريف مشكل الحديث:

لغة: " مشكل: مشتق من الفعل أشكل: التبس، وأمور أشكال: ملتبسة " [(١)].

اصطلاحـًا: " أحاديث مروية عن رسول الله ﷺ بأسانيد مقبولة يوهم ظاهرها معاني مستحيلة، أو معارضة لقواعد شرعية ثابتة "[(٢)].

تعريف مختلف الحديث:

لغة: المختلِف بالكسر اسم فاعل والمختلَف بالفتح اسم مفعول وهو من اختلاف الأمرين، وكل ما لم يتساو فقد تخالف واختلف "[(٣)].

اصطلاحـًا: " وهو أن يأتي حديثان متضادان في المعنى ظاهراً، فيوفق بينهما، أو يرجح أحدهما"[(٤)].

والفرق بين النوعين واضح وبيّن فبينهما عموم وخصوص، فكلا النوعين يدرسان ما قد يجده الناظر من تعارض في فهم الأحاديث الشريفة، فأما مصطلح " مختلف الحديث" يختص بالنظر في التعارض بين الأحاديث فقط، وأما مصطلح " مشكل الحديث " فيعم جميع أنواع التعارض التي يمكن أن توجد مما يعارض معنى من معاني الحديث الشريف ومفهومه مع

(١) لسان العرب مادة (ش ك ل).

(٢) مختلف الحديث، ص٣٢.

(٣) لسان العرب ٩/ ٩١، تاج العروس ٢٣/ ٢٤٠.

(٤) التقريب والتيسير ص ٢٠.

ظاهر القرآن الكريم، أو الواقع، أو التاريخ، أو السنن الكونية، وقد يكون الحديث مشكلاً في ذاته من غير وجود معارض له، فكل مختلف مشكل، وليس كل مشكل مختلف.

وقد سلك أهل العلم المخلصين لدينهم والعاملين له منهجًا متميزاً في دراسة تلك الأحاديث المتعارضة، حتى غدا هذا العلم من أهم علوم الحديث الشريف، وغدا منهجهم نبراسًا وهدىً لمن أراد إعلاء دين الله وأراد النجاة لنفسه من الوقوع في مهاوي الزيغ والضلال.

المطلب الثاني: تعريف بالمدرسة العقلانية الحديثة وعلاقتها بالمدرسة العقلانية القديمة.

هذه التسمية ناشئة من ثلاث كلمات:

المدرسة: مكان الدرس والتعليم، والمدرسة: جماعة من الفلاسفة أو المفكرين، أو الباحثين تعتنق مذهبًا معينًا أو تقول برأي مشترك [١].

العقلانية: وصف منسوب للعقل [٢]، والعقلانية كمصطلح يراد بها عمومًا: " المذهب الفلسفي الذي يرى أن كل موجود مردود إلى مبادئ عقلية، ويراد بها خصوصًا الاعتداد بالعقل ضد الدين بمعنى عدم تقبل المعاني الدينية إلا إذا كانت مطابقة للمبادئ المنطقية والنور الفطري " [٣].

الحديثة: نسبة إلى الحديث: نقيض القديم [٤].

(١) المعجم الوسيط ١/ ٢٨٠.

(٢) السلفية وقضايا العقل ص ١٦١.

(٣) معجم المصطلحات العلمية مادة (ع ق ل).

(٤) لسان العرب مادة (ح د ث).

وأما باعتبار التركيب فهي: تلك الاتجاهات العقلانية التي ظهرت في القرنين الأخيرين التي تغالي في تحكيم العقل البشري وتقديمه على الدين، وتعطي العقل وأحكامه اعتباراً فوق اعتبار نصوص الوحي الثابتة عن الله تَعَالىٰ ورسوله ﷺ "[(١)].

علاقتها بالمدرسة العقلية القديمة:

يتضح من خلال أقوال رواد المدرسة العقلانية الحديثة وجود علاقة وطيدة وتوافق منهجي مع المدرسة العقلية القديمة والتي يمثلها المعتزلة، وهذا ليس من باب التصنيف العقدي لأصحاب المدرسة العقلانية الحديثة، وإنما قصدت بيان العلاقة الفكرية بينهما فيما يتعلق بالأحاديث المشكلة، ويمكن للباحث أن يجد علاقة فكرية قوية بين المدرستين، ومما توافقت فيه المدرستان:

أ- إكبار دور العقل، وتقديمه على النص فيما لا مجال للرأي فيه، وإخضاع النص للعقل.

ب- أن أغلب المسائل التي أثارها أصحاب المدرسة الأولى في مشكل الحديث عاد أصحاب المدرسة الحديثة لإثارتها من جديد.

ت- رد الأحاديث المشكلة التي لا تتناسب مع أهوائهم وأصولهم الفاسدة، وتأويلها تأويلاً عقلانياً.

---

(١) الجهمية والمعتزلة ص ٢٠٢.

ومن الأمثلة على توافق منهج المدرستين:

قال محمد عبده: " اتفق أهل الملة الإسلامية إلا قليلاً ممن لا ينظر إليه على أن إذا تعارض العقل والنقل أخذ بما دل عليه العقل "[١].

وقد أنكرت المعتزلة قديما رؤية المؤمنين لربهم يوم القيامة مخالفة في ذلك للمنهج الحق منهج أهل السنة والجماعة، وبعض العقلانيين العرب يردد شبهة الأوائل، فتصده عن قبول الحق وأدلته، فلا أدرى عن قصد أو غفلة، جاء في هذا العصر محمد الغزالي فقال عن حديث الرؤية: "الحديث كله معلول وإلصاقه بالآية خطأ - يعنى قولة تَعَالَىٰ: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾[٢]. وبعض المرضى بالتجسيم هو الذي يسيغ هذه الروايات، وإن المسلم الحق ليستحي أن ينسب إلى رسوله هذه الأخبار"[٣].

وأنكرت المعتزلة قديماً عذاب القبر وردت الأحاديث الواردة في ذلك وجاء أحد العقلانيين في العصر الحاضر وهو إسماعيل منصور فرد الأحاديث في عذاب القبر بقولة: " فتكذيب الحس لما تقوله هاتان الروايتان يجعلهما روايتين كاذبتين على رسول الله ﷺ دون شك أو اختلاف "[٤].

ومن أحب قوماً لهج بذكرهم ومدحهم يقول محجوب بن ميلاد: " فقد كان المعتزلة المحرك القوي الذي أطعم التفسير الإسلامي وغذاه

---

(١) الإسلام والنصرانية ص ٥٩.

(٢) سورة القيامة، الآيتان: ٢٢، ٢٣.

(٣) السنة النبوية ص ١٢٥.

(٤) تبصير الأمة ص ٥٢٢.

وبعث فيه حيوية رائعة، وأكثر جرأة سطرت صفحات هي من أنفس صفحات التفكير الإسلامي، وأجرت ينابيع فكرية ماؤها من أصفى المياه وأعذبها " [١].

(١) نقلاً عن كتاب: الجهمية والمعتزلة ص ٢١٤.

المبحث الأول

شبهات المدرسة العقلانية الحديثة حول الحديث الشريف

أثار أعداء السنة جملة من الشبهات جعلوها برأيهم أسبابًا علمية وواقعية لرد أحاديث النبي ﷺ التي أشكلت عليهم ومما أثير من شبهات لتسويغ منهجهم في دراسة الأحاديث المشكلة:

الشبهة الأولى: رد الأحاديث بدعوى عدم حجية خبر الآحاد.

جرى في كثير من كتب أهل العلم تقسيم الأخبار الواردة عن النبي ﷺ إلى أخبار أحاد وأخبار متواترة، يقول ابن حزم: " فإن جميع أهل الإسلام كانوا على قبول خبر الواحد الثقة عن النبي ﷺ يجرى على ذلك أهل كل فرقة في علمها كأهل السنة والخوارج والشيعة والقدرية، حتى حدث متكلمو المعتزلة بعد المائة من التاريخ فخالفوا الإجماع في ذلك "(١).

وهذا التقسيم فيه كلام طويل، ولكلام من أورده من أهل العلم بالحديث في مصنفاتهم محامل حسنة ومخارج مرضية، لكن أصحاب المدرسة العقلانية الحديثة ساروا على منهج المعتزلة في قصدهم من هذا التقسيم، وهو أن المتواتر من الأخبار يفيد العلم اليقيني أما أخبار الآحاد فلا تفيد إلا الظن، وبالتالي لا يصح الاحتجاج بها لإسقاط كثير من أحاديث العقائد والأحكام والتي لا تتفق مع منهجهم العقلي البحت.

يقول أبو رية: " الأخبار التي جاءت من طريق الآحاد وحملتها كتب الحديث فإنها لا تعطى اليقين وإنما تعطى الظن، والظن لا يغنى من الحق

(١) الأحكام ١/ ١٠٨.

شيئًا، وللمسلم أن يأخذ بها ويصدقها إذا اطمئن قلبه بها وله أن يدعها إذا حاك في صدره شيء منها وهذا أمر معروف عند النظار من علماء الكلام والأصول والفقه ولم يعارض فيه إلا (زوامل الأسفار) من الحشوية الذين لا يقام لهم وزن "[١].

الشبهة الثانية: أن كثيراً من الأحاديث إنما هو من الإسرائيليات أو المسيحيات.

يقول أبو رية: بعد أن ذكر عنوانًا " المسيحيات في الإسلام " فإذا كانت الإسرائيليات قد لوثت الدين الإسلامي بمفترياتها، فإن المسيحيات كان لها كذلك نصيب مما أصاب هذا الدين وأول من تولى كبر هذه المسيحيات هو تميم ابن أوس الداري[٢]. يقصد بذلك حديث الجساسة الطويل، وقال عن حديث موسى وملك الموت: " إن رائحة الإسرائيلية لتفوح من هذا الحديث" [٣].

وبرر إنكار محمد عبده لحديث سحر النبي ﷺ: لأن من علامة الحديث الموضوع مخالفته للقطعي من القران وغيره [٤].

ثم جاء إسماعيل منصور وجعل من الأحاديث التي يردها أحاديث تشتمل على إسرائيليات وهي أحاديث امتزجت بروايات أهل الكتاب اليهود والنصارى بعد إسلامهم حيث إن الذين أسلموا منهم جاءوا إلى

(١) أضواء على السنة النبوية ص١٩٩.

(٢) نقلاً عن كتاب دفاع عن السنة، ص٨٢.

(٣) السنة النبوية بين دعاة الفتنة وأدعياء العلم ص١٦٢.

(٤) تفسير المنار ٩/ ٥٩.

الإسلام ومعهم بعض أفكارهم وبعض قصصهم التي حفظوها قبل ذلك فجاءت رواياتهم للحديث بعد إسلامهم مختلطة بذلك[١].

الشبهة الثالثة: الشك في عدالة الصحابة.

الصحابة خير الأمة بعد رسول الله ﷺ فقد اختارهم الله أصحابا لنبيه ورضيهم النبي أصحابا له، هم الذين حملوا الدين عنه وقاموا به بعده ونقلوه بكل أمانة لمن بعدهم فمن طعن في الأصحاب فقد عارض أمر من اختارهم، واتهم من رضيهم، ومن طعن في النقلة طعن في المنقول.

وقد تجرأ أصحاب المدرسة العقلانية الحديثة في الطعن في الصحابة، ومن أفحش من كتب في ذلك محمود أبو رية في كتابه: أضواء على السنة المحمدية، وقد كتب أكثر من خمسين صفحة في ذمِّ أبي هريرة رضي الله عنه [٢].

ويجعلهم أحمد أمين في موضع يمكن أن نتناولهم بالنقد فيقول: "ويظهر أن الصحابة أنفسهم في زمنهم كان يضع بعضهم بعضا موضع النقض " [٣].

ويريد بهذا الكلام التمهيد لمن في قلبه هوى من المدرسة العقلانية الحديثة أن ينتقد الصحابة أو أن يطعن فيهم.

---

(١) تبصير الأمة ص٦٢١.

(٢) نقلاً عن كتاب دفاع عن السنة ص ٩٠.

(٣) فجر الإسلام ص٢١٦.

الشبهة الرابعة: إنكار الاحتجاج بالحديث لأنه لا يحتج به في قواعد النحو والصرف.

يقول إسماعيل منصور: فقد تحرج الأئمة الأوائل من علماء اللغة من الاستشهاد اللغوي بما ورد في نصوص السنة، خوفاً من عدم صحة النسبة إلى رسول الله ﷺ، وكان هذا هو منهج الرعيل الأول من اللغويين وهو مسلك قام على الاحتياط والتدقيق ... ومن حجتهم مجيء الرواية بألفاظ مختلفة لرواة مختلفين، وهذا يعني أن الرواة هم الذين صاغوا الأحاديث بعد استقرار معانيها عندهم بعد عهد النبوة بفترة من الزمن(١).

الشبهة الخامسة: عدم مسايرة الأحاديث للعلم الحديث.

فلتطور الحياة المادية الغربية المبنية على فلسفة القوانين النسبية والتجريبية التي انبهر بها بعض أبناء المسلمين حتى جعلوا ما جاءت به تلك الحضارة مسلمات، وما جاء في السنة النبوية مما يخالف ظاهره لا يمكن قبوله أو القول به في عصر العلم والاختراعات، وفي الحقيقة أنهم لم يفهموا النصوص الشرعية كما ينبغي فتوهموا التعارض الذي يؤدي إلى إسقاط أحد المتعارضين فبادروا جهلا منهم إلى رد النصوص الشرعية.

ومن الأحاديث التي ردها العقلانيون من هذا الباب: حديث الذباب، قال ﷺ: «**إذا وقع الذباب في إناء أحدكم فليغمسه كله ثم ليطرحه، فان في إحدى جناحيه داء وفي الآخر شفاء**»(٢).

---

(١) تبصير الأمة ص١٠٤.

(٢) أخرجه البخاري، كتاب الطب، باب: إذا وقع الذباب في الإناء ح (٥٧٨٢).

يقول أبو رية: " وماذا يضرنا إذا أثبت العلم ما يخالف حديثا من الأحاديث التي جاءت من طريق الآحاد، وبخاصة إذا كان هذا الحديث في أمر من أمور الدنيا ... وهل أوجب علينا الدين أن نأخذ بكل حديث حملته كتب السنة اخذ تسليم وإذعان وفرض علينا أن نصدقها ونعتقد بها اعتقاداً جازمـًا ... على أننا إذا سلمنا كما قلنا أن النبي ﷺ قد نطق بهذا الحديث ثم أثبت العلم ضرر الذباب فليس علينا من بأس في الرجوع عنه، وعدم الأخذ به لأنه أمر من أمور الدنيا [١].

الشبهة السادسة: الاكتفاء بما جاء في القرآن.

منذ بدأ المبتدعة الجدد في الهجوم على السنة الشريفة يرددون عبارات الحرص على القرآن واعتباره هو المصدر الأول الذي لا يحتاج لان يضاف معه شيء.

ومن أوائل أولئك القوم: محمد توفيق صدقي فقد كتب مقالاً في مجلة المنار بعنوان " الإسلام هو القرآن وحده ": دعا فيه إلى الاكتفاء بالقرآن، والزهد في السنة النبوية فيقول: وخلاصة القول في هذا الموضوع إننا يجب علينا الاقتصار على كتاب الله تَعَالىٰ مع استعمال العقل والتصرف، أو بعبارة أخرى – الكتاب والقياس – وأما السنة فما زاد منها عن الكتب إن شئنا عملنا به وإن شئنا تركناه " [٢].

(١) أضواء على السنة النبوية ص ١٩٩- ٢٠١.

(٢) مجلة المنار، مجلد ٩ ص ٥١٧.

ويقول محمد الغزالي: " كل ما نحرص عليه شد الانتباه إلى ألفاظ القرآن ومعانيه، فجمله غفيرة من أهل الحديث محجوبون عنها، مستغرقون في شئون أخرى تعجزهم عن تشرب الوحي "[١].

يقول إسماعيل منصور: " وهكذا تتضح عندنا هذه الحقيقة التي تؤكد أن تشريع الأمة الإسلامية هو ما جاءها في القرآن الكريم وحده دون أن يكون معه شيء آخر بأي حال "[٢].

---

(١) الطريق من هنا ص٦٦.

(٢) تبصير الأمة ص ١٦.

المبحث الثاني

منهج المدرسة العقلانية الحديثة في دراسة الأحاديث المشكلة

حين تتمكن الشبهات من نفس صاحب الهوى والزيغ فانه يسلك ما استطاع من سبل لإثبات ما رآه، ولدفع ما يواجهه من حق، وقد تنوعت الطرق والأساليب التي سلكها العقلانيون في دراسة الأحاديث المشكلة رغبة منهم في رد السنة النبوية، ورغبة في تبرير موقفهم العدائي منها، وتقوية لمنهجهم الفكري، ومن منهجهم وطرائقهم في ذلك:

أولاً: التشكيك في صحة الأحاديث المشكلة، وادعاؤهم أنها موضوعة.

شك كثير من العقلانيين في صحة الأحاديث التي أشكلت عليهم حتى ولو كانت تلك الأحاديث مما ورد في الصحيحين الذين اتفقت الأمة على قبولهما ولهم في ذلك مسالك:

الأول: الدعوة صراحة إلى نبذ الأحاديث بدعوى أنها موضوعة ففي رسالة لإسماعيل أدهم نشرها عام ١٣٥٣ هـ ذهب فيها إلى أن هذه الثروة الغالية من الحديث الموجودة بين أيدينا، والتي تضمنتها كتب الصحاح ليست ثابتة الأصول والدعائم بل هي مشكوك فيها ويغلب عليها صفة الوضع(١).

ويتساءل أحمد أمين: " متى بدأ الوضع؟ ويجيب بقوله يظهر أن هذا الوضع حدث في عهد الرسول فحديث: «**من كذب على متعمدا فليتبوأ**

(١) نقلاً عن كتاب زوابع في وجه السنة ص ٦٣.

مقعده من النار»[١] يغلب على الظن أنه قيل لحادثة زور فيها على الرسول"[٢].

الثاني: عند وجود تعارض بين ظاهر القرآن والحديث الصحيح يسعون إلى تكذيب الحديث بدعوى المعارضة ففي الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ: «**وليس من الإنسان شيء إلا يبلى إلا عظماً واحداً، وهو عجب**[٣] **الذنب ومنه يركب الخلق يوم القيامة**» [٤].

يقول رشيد رضا عن الحديث: "ويعارضه كون الأرض تصير بالنفخة الأولى كما يأتي قريباً هباءً منبثاً وهذا قطعي وهو يعارض المرفوع أيضاً فإن لم يمكن الجمع كان ذلك مطعناً في صحة الحديث "[٥].

ويقول أيضاً عن حديث الجساسة [٦]: أن ما فيه من العلل والاختلاف والإشكال من عدة وجوه يدل على أنه مصنوع [٧].

ثانياً: تأويل نصوص السنة النبوية المشكلة تأويلا باطلا.

حرص العقلانيون على إظهار حرصهم على التمسك بالسنة النبوية، فلجئوا إلى التأويل الخالي من العلم، والبعيد كل البعد عن الضوابط

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب: العلم، باب: إثم من كذب على النبي ﷺ ح (١٠٦).

(٢) فجر الإسلام ص٢٥٨.

(٣) العجب: بالسكون، العظم الذي في أسفل الصلب عن العجز. النهاية في غريب الحديث لابن الأثير ٣/ ١٨٤.

(٤) أخرجه البخاري، كتاب الإيمان، باب: تفاضل أهل الإيمان في الأعمال ح (٢٢).

(٥) تفسير المنار ٨/ ٤٧١.

(٦) حديث تميم الداري رضي الله عنه المشهور، أخرجه مسلم، كتاب: الفتن وأشراط الساعة ح (٧٣٨٦).

(٧) تفسير المنار ٩/ ٤٥٩.

اللغوية والشرعية حتى تتلاءم مع أهوائهم وأهدافهم الخبيثة في صرف الناس عن السنة النبوية.

عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**والذي نفسي بيده ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم عدلاً، فيكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية، ويفيض المال حتى لا يقبله أحد**»[١].

وبرر محمد عبده رده للحديث بتخريجين: " أحدهما: أن حديثه آحاد، وثانيهما: تأويل نزوله وحكمه في الأرض بغلبة روحة وسر رسالته على الناس، وهو ما غلب في تعاليمهم من الأمر بالرحمة والمحبة والسلم ... فزمان عيسى على هذا التأويل هو الزمان الذي يأخذ الناس فيه بروح الدين والشريعة الإسلامية لإصلاح السرائر من غير تقييد بالرسوم والظواهر "[٢].

ولا غرو أن يذهب هذا المذهب العقلي في تفسير الحديث فهو القائل: " ورفع القرآن العقل ووضعه في مكانة بحيث ينتهي إليه أمر السعادة، والتميز بين الحق والباطل والضار والنافع "[٣].

وأصبح هذا منهجاً لمن تبعه على هذا الطريق، يقول محمد الغزالي: "المشكلة تكمن في أحاديث أخرى صحيحة السند غير أن متونها تقفنا أمامها واجمين، لنبحث عن تأويل لها أو مخرج "[٤].

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب الأنبياء، باب نزول عيسى بن مريم عليهما السلام ح (٣٤٤٨).

(٢) تفسير المنار ٣/ ٣١٦.

(٣) رسالة التوحيد ص١٩.

(٤) السنة النبوية ص١٥٨.

ثالثاً: ضرب الأحاديث بعضها ببعض بدعوى التعارض لإسقاطها جميعا.

ومثال ذلك ما فعلة رشيد رضا عندما وجد حديثا لا يتفق مع منهجه العقلي، وأن ما في الحديث لا يتفق مع معقولات البشر، ففي مسألة طلوع الشمس من مغربها، يقول ابتداء: وأما علماء الهيئة الفلكية في هذا العصر فلا يتعذر على عقولهم أن تتصور حدثا تتحول فيه حركة الأرض اليومية فيكون الشرق غربا والغرب شرقا، ولا ندرى أيستلزم ذلك تغييرا آخر في النظام الشمسي، ثم يورد حديثين ظاهرهما التعارض، فيقول: وأقوى الأحاديث الواردة في طلوع المس من مغربها حديث أبى هريرة ﵁ أن رسول الله ﷺ قال: «لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها، فإذا طلعت ورآها الناس آمنوا أجمعون حين: ﴿لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا﴾[1]»[2].

ويورد حديثا آخر بقوله: وأخرج أحمد والترمذي[3]. وغيرهما عن أبي هريرة أيضا رفعه: ثلاث إذا خرجن لا ينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل: طلوع الشمس من مغربها والدجال ودابة الأرض.

ويبين وجه التعارض عنده بقوله: وهو مشكل مخالف للأحاديث الأخرى الواردة في نزول المسيح بعد الدجال وإيمان الناس به. ثم يواصل كلامه مدعياً الاضطراب والتعارض فيما صح من أحاديث أشراط الساعة فيقول: فيخشى أن يكون أبو هريرة ﵁ قد روى بعضها عن كعب الأحبار

---

(١) سورة الأنعام، آية: ١٥٨.

(٢) أخرجه البخاري، كتاب الرقاق. باب: طلوع الشمس من مغربها ح (٦١٤١).

(٣) أخرجه أحمد في المسند، ٢/ ٤٤٥. والترمذي كتاب تفسير القرآن. باب: ومن سورة الأنعام ح (٣٠٧٢).

وأمثاله فتكون مرسلة، ولكن مجموع الروايات عنه، وعن غيره تثبت هذه الآية بالجملة، فننظمها في سلك المتشابهات، ونحمل التعارض بين الروايات وما في بعضها من مخالفة الأدلة القطعية ... كالرواية عن مثل كعب الأحبار من رواة الإسرائيليات[(١)].

وما أورده الشيخ رضا قد أجاب عنة الحافظ ابن حجز بعد أن أثاره، فالشيخ يأخذ التعارضات التي يثيرها ابن حجر ويدع ما جمع به بينها [(٢)].

يقول ابن حجر جامعًا بين هذه الروايات: "فالذي يترجح من مجموع الأخبار أن خروج الدجال أو الآيات العظام المؤذنة بتغير الأحوال العامة في معظم الأرض وينتهي ذلك بموت عيسى بن مريم، وأن طلوع الشمس من المغرب هو أول الآيات العظام المؤذنة بتغير أحوال العالم العلوي، وينتهي ذلك بقيام الساعة ولعل خروج الدابة يقع في ذلك اليوم الذي تطلع فيه الشمس من المغرب" [(٣)]، فانظر كيف وفق الله المحبين للسنة للنظر السديد في نصوصها، وكيف عمي هؤلاء عن إدراك معانيها فردوها.

ويرد رشيد رضا أحاديث الدجال بقوله: "أنها متعارضة تعارضًا كثيراً يوجب تساقطها" [(٤)].

ثالثاً: تهوين أمر السنة النبوية، والسخرية بمن يعمل بها.

يقول محمد الغزالي: " قرأت خمسين حديثًا ترغب في الفقر وقلة ذات اليد ... وسبعة وسبعين حديثًا ترغب في الزهد في الدنيا ... وسبعة

(١) تفسير المنار ٨/ ٢١١.

(٢) موقف المدرسة العقلية الحديثة من الحديث الشريف ص ٣٥٠.

(٣) فتح الباري ١١/ ٣٦١.

(٤) تفسير المنار ٩/ ٤٨٩.

وسبعين حديثاً أخرى في عيشة السلف وكيف كان كفافاً ... ولو جعلنا هذه المرويات محور حياة عامة لشاع الخراب في أرجاء الدنيا ... وقد وقف الحرفيون عند هذه الآثار فوقفوا بالعالم الإسلامي كما وقف حمار الشيخ في العقبة لا يتقدم ولا يتأخر! بل لعله تراجع إلى العصر الحجري في بعض جوانبه "[١].

وقال: "السنة أصبحت كمتجر كبير للملابس وزعت فيه أنواعها على مختلف الجوانب ... والطبيعي أن من يرد كسوة كاملة يمر بهذه الجوانب كلها ... إن هذا مثل طوائف اشتغلت بالسنة، ثم بعد طول تطواف خرجت على الناس، وفي أيديها من السنن السواك، وعمامة مقطوعة الذنب اعتبروها شعار الإسلام، وسر ذلك أنهم دخلوا المعرض الحافل ثم خرجوا منه بعد أن ظنوا الدين كله في حديث أو سنة محدودة، فأساءوا بذلك إلى القرآن والسنة جميعاً " [٢].

يقول حسين أحمد أمين: " إنكم تنطلقون كالزنانير الهائجة تلسعون هذا وذاك باسم الحديث النبوي ... فيا أولاد الأفاعي إلى متى تتسترون بالإسلام لضرب الرجال الذين يعيشون له ويجاهدون لنصرته"[٣]، يعني نفسه.

ويقول إسماعيل منصور: "ونحن ندع لعلماء الحديث أن يثبتوا لأنفسهم ما يشاءون وينفون لها أيضاً ما يشاءون، وليعشوا في الوهم والظن ما شاءت لهم أنفسهم من ذلك، ونكتفي هنا بأن نقرر بما رأينا من بيان

(١) السنة النبوية ص٤٣.

(٢) فقه السيرة ص٤٣.

(٣) العقلانية، عبد السلام البسيوني ص٨٢.

تفصيلي لهذه المسألة أن كل هذه الروايات هي من الوهم والظن وأنه إذا كان فيها ما يمكن تصديقه؛ فإنه لن يكون سوى عدم الثقة في كل روايات الحديث عموماً عن إثبات الأحكام " [١].

رابعاً: الهجوم على السنة بدافع الهوى، أو الفهم القاصر لها:

يذكر الشيخ محمد أبو شهبة أمثلة على الفهم القاصر لأبي رية لبعض الأحاديث التي ردها بسوء فهمه، فيقول: قال – أبو رية – في ص (٢١٤): وفي حديث لمسلم: أن الساعة تقوم قبل انتهاء القرن الأول الهجري.

يقول أبو شهبة: "ولعل مراده بحديث مسلم قول النبي ﷺ قبل موته بشهر: «**أرأيتكم ليلتكم هذه فإن على رأس مائة سنة منها لا يبقى ممن هو على ظهر الأرض أحد**»[٢]، والحديث ظاهر في أن المراد انقراض أهل هذا القرن، وأنه ليس المراد قيام الساعة الكبرى، وقد غلط المؤلف في فهمه كما غلط أناس من قبله، ولو تأمل المؤلف في هذه الرواية لما وقع في هذا الزعم الكاذب " [٣].

ويقول محمد الغزالي: "وأعرضت عن أحاديث أخر توصف بالصحة، لأنها في فهمي لدين الله وسياسة الدعوة لم تنسجم مع السياق العام " [٤].

ويضع حسين أحمد أمين قاعدة جديدة لمعرفة الصحيح من السقيم وهي قاعدة " رد كل ما يمجه التفكير ".

---

(١) تبصير الأمة ص ٥٢٠.

(٢) أخرجه مسلم كتاب: فضائل الصحابة ح (٢٥٣٧).

(٣) دفاع عن السنة، ص١٩٤.

(٤) فقه السيرة ص١٣.

وضرب لذلك مثالاً حديث أنس بن مالك ﷺ مرفوعـاً: «**إذا أكل أحدكم فليأكل بيمينه فإن الشيطان يأكل بشماله ويشرب بشماله**»[(١)][(٢)].

وهذا منهج التقبيح والتحسين العقلي عند المعتزلة.

خامساً: التشكيك فيما صح من حديث فيما لا يوافق منهجهم:

يقول محمد الغزالي: إن ركاما من الأحاديث الضعيفة قد ملأ آفاق الثقافة الإسلامية المعاصرة بالغيوم، وركامـاً من الأحاديث التي صحت، وسطا التحريف على معناها، أو لابسها كل ذلك جعلها تنبو عن دلالات القرآن القريبة والبعيدة[(٣)]، فانظر كيف يسمى صحيح السنة ركامـاً.

وقال إسماعيل منصور عن الحديث الصحيح عن النبي ﷺ قوله: «**أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة من قال: لا إله إلا الله خالصـاً من قلبه أو نفسه**»[(٤)]، فهذا حديث مفعم بالركاكة الواضحة لدى كل باحث مدقق محايد أصلاً حيث يظهر فيه: اضطراب المعاني، رداءة التعبير، وعدم صدق البيان، فضلاً عن المخالفات الشرعية الكثيرة التي اشتمل عليها المتن بما لا يقبل معه احتمال أو تبرير "[(٥)].

سادساً: التعلق بكل شبهة رديئة لرد الأحاديث المشكلة:

إن غياب المنهج الصحيح في التعامل مع السنة بالتسليم والقبول ابتداء، ومحاولة فهمها على مراد الله ورسوله ﷺ يجعل صاحب الهوى

---

(١) أخرجه مسلم، كتاب: الأشربة ح (٥٢٦٧).

(٢) العقلانية ص١٢٢.

(٣) السنة النبوية ص١٨٨.

(٤) أخرجه البخاري، كتاب: العلم، باب: الحرص على الحديث ح (٩٩).

(٥) تبصير الأمة ص٦٠٨.

وفاسد النية يبحث عن كل شبهة يتعلق بها لبرهنة ما يذهب إليه، بعيداً كل البعد عن منهج أهل الحديث الذين هم أعلم الناس بالحديث، ويقصيهم وكأنهم لا شأن لهم بالحديث، فيأتون إلى الشبهة ويجعلونها قطعية وما ثبت من الحديث مظنونـًا.

يقول محمد الغزالي عن حديث في صحيح مسلم: " إن بالحديث علة قادحة وهي كافية في سلب وصف الصحة عنه، وأهل الفقه لا أهل الحديث هم الذين يردون هذه الروايات"(١). وعلة الرد عنده عدم أخذ الفقهاء بالحديث.

سابعاً: رد الأحاديث الصحيحة المشكلة بدعوى الغيرة على الدين أو الدفاع عن مصالح المسلمين.

ففي حديث سحر النبي ﷺ الذي روته عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: "**سحر ﷺ حتى إنه ليخل إليه أنه يفعل الشيء وما فعله** "(٢).

يرى محمد عبده أن هذا الحديث المسمى حديث سحر النبي ﷺيتعارض مع الدعوة إلى تنزيه مقام النبوة أو محاولة إظهار الإسلام بمظهر لا يكون فيه موضع اتهام من أعداء الإسلام(٣).

وقوله أن ذلك يتعارض مع مقام النبوة ويشكك فيما شرعه شبهة قديمة رددها المتأخرون وقد رد عليه العلماء قديما ومن ذلك يقول المازري: " وهذا الذي قالوه باطل وذلك أن الدليل قد قام على صدقة فيما يبلغه عن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وعلى عصمته فيه، والمعجزة شاهدة بصدقه

(١) السنة النبوية ص٢٩.

(٢) أخرجه البخاري، كتاب: الطب، باب: السحر ح (٥٧٦٦).

(٣) نقلاً عن كتاب السنة النبوية ومطاعن المبتدعة فيها ص٢٠٦.

وتجويز ما قام الدليل على خلافه باطل، وما يتعلق ببعض أمور الدنيا التي لم يبعث بسببها، ولا كان رسولاً مفضلاً من أجلها هو في كثير منه عرضة لما يتعرض البشر فغير بعيد أن يخيل إليه في أمور الدنيا ما لا حقيقة له" [١].

ويدافع محمد رشيد رضا عن محمد توفيق صدقي الذي أنكر حديث الذباب ويصفه بالمسلم الغيور فيقول: "لم يطعن في صحة هذا الحديث إلا لعلمه بأن تصحيحه من المطاعن التي تنفر الناس عن الإسلام، وتكون سببا لردة بعض ضعفاء الإيمان"[٢].

وجاء أخيرا إسماعيل منصور فرد حديث النبي ﷺ حيث قال: «**أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمد رسول الله**»[٣]، فقال: " نحب أن نلفت النظر إلى خطورة هذا الحديث خطورة عظيمه على الإسلام حيث أنه – لو صدقه المسلمون وعملوا به – يهدم الدين الإسلامي كلية من ألفه إلى يائه، وصرف الأمة الإسلامية بالتالي عن طريق الرحمن إلى طريق الشيطان وسبب ذلك باختصار شديد هو: أن الحديث سيعطى دلالة واضحة على أن الإسلام قد فرض على الناس بالقهر لا بالرغبة، وبالسيف لا بالاختيار، وهذا هو الضد الذي يخالف الإسلام، فضلاً عن تسببه في أخذ الأمة الإسلامية إلى طريق منحرف بعيد تماما عن الين الحق يفرض عليها محاربة شعوب الأرض جميعاً غير المسلمين حتى يسلموا

(١) المعلم بفوائد مسلم للمازري ٣/ ٩٣.

(٢) مجلة المنار، المجلد ٢٩ ص٥٠.

(٣) أخرجه البخاري، كتاب: الصلاة، باب: فضل استقبال القبلة ح (٣٩٢).

ويدخلوا بالقهر والبطش والقتال في سماحة الإسلام، وهذا كفيل بهدم كيان الأمة تماماً لكونه يكلفهم ما لا طاقة لهم به "[١].

وأخيراً كانت هذه مقتطفات مما قاله هؤلاء القوم من ضلالات وأوهام قادهم إليها منهجهم العقلاني الذي جعلوه سيفاً مسلطاً على حديث النبي ﷺ، وبقي كثير من تلك الأقوال تحتاج إلى جهود طويلة المدى وجماعية في العمل للذب عن السنة النبوية الشريفة.

(١) تبصير الأمة ص ٤٦٤.

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والشكر له على ما أنعم به عليّ من إنجاز هذا البحث.

وقد خرجت من خلال كتابته بنتائج منها:

- أن النجاة والفلاح في لزوم منهج الحق في التعامل مع السنة النبوية عمومـًا، ومع مشكل الحديث خصوصـًا.
- أن الردى والتخبط حاصل لكل من تنكب المنهج الحق، وأن مآل ما يصل إليه هو الزيغ والضلال والخسران.
- أن المعارضين للسنة النبوية في كل عصر لا يألون جهداً في صدّ الناس عنها، ومحاولة طمس أنوارها.
- ضرورة تعلم المنهج الصحيح في التعامل مع مشكل الحديث لطالب العلم، لأن من لم يتعلم ذلك قد يزل وهو لا يدري.
- خطورة منهج المدرسة العقلانية الحديثة في التعامل مع السنة النبوية، والتي ينبغي التصدي لها في كل زمان ومكان.
- أقترح إقامة مؤتمر علمي عن مشكل الحديث في هذا العصر للذب عن السنة النبوية، فقد ظهرت شبهات ومناهج ينبغي التصدي لها من طلبة العلم المحبين للسنة النبوية.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

المصادر والمراجع

١- منصور، إسماعيل، "تبصير الأمة بحقيقة السنة". (القاهرة: النسر الذهبي للطباعة، ١٤١٦هـ).

٢- النووي، محيي بن شرف، "التقريب والتيسير"، تحقيق: عبد الوهاب عبد اللطيف. (دار الكتب الحديثة، ١٣٨٥هـ).

٣- العقل، ناصر بن عبد الكريم، "الجهمية والمعتزلة". (الرياض: دار الوطن، ١٤٢١هـ).

٤- شهبة، محمد محمد، "دفاع عن السنة". (بيروت: دار الجيل، ١٤١١هـ).

٥- مقبول، صلاح الدين، "زوابع في وجه السنة قديماً وحديثاً". (دلهي: مجمع البحوث العلمية، ١٤١١هـ).

٦- الزنيدي، عبد الرحمن، "السلفية وقضايا العصر". (دار أشبيليا، الرياض، ١٤١٨هـ).

٧- عبد اللطيف، عبد الموجود، "السنة النبوية بين دعاة الفتنة وأدعياء العلم". (مطبعة طيبة، ١٤١١هـ).

٨- الشامي، مكي، "السنة النبوية ومطاعن المبتدعة فيها". (عمان: دار عمار، ١٤٢٠هـ).

٩- البخاري، محمد بن إسماعيل، "صحيح البخاري"، مراجعة وضبط: محمد علي قطب، وهشام البخاري. (صيدا – بيروت: المكتبة العصرية، ١٤٢٤هـ).

١٠- النسيابوري، مسلم بن الحجاج، "صحيح مسلم"، اعتنى به: هيثم خليفة الطعيمي. (صيدا – بيروت: المكتبة العصرية، ١٤٢٤هـ).

١١- حماد، نافذ حسين، "مختلف الحديث بين الفقهاء والمحدثين"، (المنصورة: دار الوفاء، ١٤٢٨هـ).

١٢- بسيوني، عبد السلام، "العقلانية هداية أم غواية". (المنصورة: دار الوفاء، ١٤١٢هـ).

١٣- أنيس، إبراهيم وآخرون، "المعجم الوسيط". (القاهرة: مجمع اللغة العربية).

١٤- المازري، أبو عبد الله محمد بن علي، "المعلم بفوائد مسلم"، تحقيق: محمد النيفر. (بيروت: دار الغرب الإسلامي، ١٩٩٢م).

١٥- شقير، شفيق، "موقف المدرسة العقلية الحديثة من الحديث النبوي الشريف". (بيروت: المكتب الإسلامي، ١٤١٩هـ).

١٦- الصادق، الأمين، "موقف المدرسة العقلية من السنة النبوية"، (الرياض: مكتبة الرشد، ١٤١٨هـ).

فهرس الموضوعات